مطبوعات حديثة

ديوان ذي الرمة

طبع في مطبعة (كمبريدج) الانكليزية الكلية على نفقة مدرستها بعد ان عني بتصحيحه وشرحه بالانكليزية والعربية معاً المستشرق كارليل هنري هيس مكارثني وهو يقع في ستمائة وخمسة وسبعين صفحة كبيرة

(من هو ذو الرمة ؟) : جيد الطبقة واسع الشهرة وصافاً كالجاهلية للديار والابل والليل والوحش ، هو شاعر بدوي اسلامي متقدم ، نشأ في البادية على اثر المخضرمين معاصر الفرزدق وجرير والراعي مرافقاً للاحوص وكثيرعزة وابن مروان وابن ابي عتيق ونصيب وغيرهم من كبار شعراء المدر فكان مثلهم حجة في اللغة ولكنه كان يخالفهم بكثرة استعمال الغريب والحوشي من الألفاظ ولم يكن ذلك يعيبه في زمانه وانما حطه عن درجة الفحول عدم خبرته في أساليب المديح والهجاء ، وفساد ذوقه في انتقاء المناسبات واختيار ما يليق وما لا يليق من الكلام فيهما .

قيل دخل يوماً على عبد الملك الخليفة الأموي فاستنشده فأنشده مطولته البائية المثبتة في اول ديوانه (ص ١ — ٣٥) وهي زهاء مئة وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

وكان عبد الملك أشتر الجفن لا يرقأ دمع عينه فتوهم انه يعرّض به ، فغضب حتى كاد يخرج عن حلمه وقال له : مالك ولي يا ابن الفاعلة وأمر به فطرد من حضرته مدحوراً مقهوراً ، وحرم من الجائزة التي كان يمني نفسه بنيلها ، وكان له ناقة اسمها (صيدح) كثيراً ما يذكرها في شعره و يناقشها الحديث والسمر اثناء سيره وسراه .

قيل قصد يوماً الأمير بلال بن ابي بردة الاشعري مادحاً ومستمنحاً فأنشده قصيدة تخلص الى المديح فيها بقوله :

سمعتُ الناس ينتجعون غيثاً فقلتُ لصيدح أنتجعي بلالا

فقال بلال ما دام المنتجع غيثي ناقتك لا انت فأعطوه حبلاً يقود به صيدح .

وقيل قال له : « او لم ينتجعني غير صيدح يا غلام اعطه حبلاً لصيدح » فخجل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذوالرمة وخرج خائباً محروماً من رضى الأمير وجائزته . وفي ذلك مايكفي للدلالة على سوء اختياره للمعاني وفساد ذوقه في مقابلات ذوي الأخطار ممن يرجى سيبهم ويخشى بأسهم .

(ما هو اسمه ؟) : اسم ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي لقب ذا الرمة لانه دخل خباء معشوقته عرضاً وكان لا يعرفها ، فلما استحسنها استسقاها فأبت ازدراءً ، فقالت له أمها اسقيه يا مي فنهضت وأتته بماء وكان على كتفه رمةٌ اي حبلاً بالياً فقالت له اشرب ياذا الرمة ، فلزمه اللقب واشتهر به دون اسمه . وهو من مشاهير عشاق شعراء العرب ، ومعشوقته التي اشتهر بها مية بنت مقاتل بن كلبة جدها قيس ابن عاصم المنقري احد سادة العرب وأجوادها ، شبب بها ردحاً من الدهر وله معها مواقف غرامية تنم عن وجد مقرون بالعفاف ، فاضت بذكرها اسفار اصحاب السير والمؤرخين ثم طردته وسبته مرة بايعاز زوجها عاصم ، وقد كان نزل به ضيفاً على رجاء ان يلتقي بها فأحس به المزور وأنزله في فناء الخباء لا داخله وبعث اليه بزاد وهو هناك غيرةً منه على امرأته ، فلما جنَّ الليل وغفت الأعين اخذ ذوالرمة يتغنى ليسمعها قائلاً :

أراجعة يامي أيامنا الأولى بذي الاثل ام لا مالهن رجوع

فغضب زوجها وأمرها ان تجبهه وتشتمه متهدداً إياها بالقتل ان لم تفعل فصدعت بامره على رغمٍ منها فذهب غيلان ساخطاً عليها ثم ما برح ان هجا زوجها وتمنى له الموت بابياتٍ منها (ص ٦٧) .

ألا ليت شعري هل يموتن عاصمٌ ولم تشعبيني للمنايا شعوبها
دعا الله من حتف المنية عاصماً بقاضيةٍ يدعى لها فيجيبها

ثم هجا مية ايضاً فقال : (ص ٦٧٥) .

الا حبذا اهل الملا غير انه اذا ذُكرت ميٌّ فلا حبذا هيا
على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ألم تر ان الماء يخبث طعمه وان كان لون الماء أبيض صافيا
اذا ما أتاه وارد من ضرورة تولى باضعاف الذي كان ظاميا

وقيل انها ليست له وانما وضعت عن لسانه . ثم علق بامرأة غيرها اسمها خرقاء العامرية وشبَّب بها في جملة قصايد تاركاً ذكر ميٍّ وحبها ، ومن جملة ما قال في خرقاء :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

فكأنه جعل الوقوف على محبوبته منسكاً من مناسك الحج وفي كل ذلك مايدل على حمق به وهوج في خُلُقه . مات في طريقه الى الشام وهو قاصد هشام الأموي بانفجار دمل سنة (١١٧) للهجرة وله من العمر اربعون سنة على أصح الأقوال ودفن بحزوى التي كان يكثر من ذكرها في شعره . قيل ولما أدركته الوفاة قال :

يا ربّ قد اشرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
يامخرج الروح من جسمي اذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

ومن مختارات شعره في مي قوله (ص ٦٦ — ٦٧) :

اذا هبت الارواح من كل جانب به امل ميّ هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وانما هوى كل نفس حيث حلّ حبيبها
تناسيت بالهجران ميّاً وانني اليها لحنّان القرون طروبها [1]

وقوله (ص ٢١٢ — ٢١٣) :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ
لها بشر مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشي لا هراء ولا نزرُ
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمرُ
وتبسم لمع البرق عن متوضحٍ كنور الأقاحي شافٍ [2] الوانها القطر

ومن حسنانه قوله (ص ٦٧٥) :

جزى الله البراقع من ثياب عن الفتيان شراً ما يقينا
يوار بن الملاح فلا نراها ويخفين القباح فيزدهينا

وأجمل ما جاء في وصف (النعسان) قوله (صفحة ١٣٠) :

سقاه الكرى كأس النعاس ورأسها لرين الكرى من آخر الليل ساجدُ

(بما ذا امتاز شعر ذي الرمة ؟) : ومن غريب معانيه قوله في وصف الحرباء (صفحة ٣٢) ولم يسبق لغيره ان يعني بوصف هذه الدويبة :

---

(١) القرون والقرونة النفس . (٢) شاف اي جلى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كم دون مَيَّة من خرق ومن عَلَم كأنه لامع عريان مسلوب (١)
ومن ملمة غبراء مظلمة ترابها بالشعاف الغبر معصوب (٢)
كأن حرباءها في كل هاجرة ذو شيبة من رجال الهند مصلوب (٣)

ويقول ايضاً في الحرباء (صفحة ٨٧) :

اذا جعل الحرباء مما أصابه من الحر يلوي رأسه ويرنح
ونشوان من طول النعاس كأنه بحبلين من مشطونة يترجح (٤)

وهو معنى قلما يخطر على خيال شاعر . وقال ايضاً :

أطرت الكرى عنه وقد مال رأسه كما مال رشّاف الفضال المرنح (٥)

ثم يقول في محل آخر (صفحة ٤٧) وهو يشبه بيت الهندي المصلوب المثبت آنفاً .

وقد جعل الحرباء يبيضُّ لونه ويخضرُّ من لفح الهجير غباغبه
ويشبح بالكفين شبحاً كأنه اخو فجرة عالى به الجذع صالبه

و يقول فيها ايضاً :

لظىً تلفح الحرباء حتى كأنه اخو جرمات بزّ ثوبه شابح (٦)

ومثله (ص ٥٩) :

كأن يدي حربائها مشمسماً يدا مذنب يستغفر الله تائب

ولا أدري ما الذي أولعه بالحرباء حتى استنزف قوى دماغه وصفّاله وهذيذاً به ومما يميز به في شعره تغاليه في استعمال الحوشيّ من الكلام كقوله من قصيدة في محبوبته الثانية خرقاء العامرية (ص ٣٧) :

---

(١) الخرق الفلاة تخترقها الرياح ، والعَلَم الجبل الذي تهتدي به الى ما حوله من الارض والبلاد ، واللامع الذي يشير بثوبه من بعيد الى غيره . (٢) الملمة الارض التي تلمع بالسراب ، والشعاف رؤوس الجبال ، والمعصوب الراسخ الثابت . (٣) الهاجرة اشتداد الحر في منتصف النهار . (٤) النشوان السكران ، والمشطونة بئر فيها اعوجاج ينزع منها بشطنين اي حبلين . (٥) الكرى النوم و يراد برشاف الفضال شارب فضلة الكأس ، والمترنح المتمايل من السكر . (٦) يشبه الحرباء بمجرم عُلّق على العود بعد ان نزع ثوبه عنه فهو طيه مشبوح اي مبسوط اليدين كالمصلوب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قفراً كأن أراعيل النعام به قبائل الزنج والحبشان والنوب
هيهات خرقاء الا ان يقرّ بها ذو العرش والشمشمانات المراجيب

وقوله في وصف ربع معشوقته الاولى مية وفيه وصف للثيران (ص ٣٩) :

تمشي به الثيران كل عشية كما اعتاد بيت المرزبان مرازبه
كأن سحيق الميك رياً ترابه اذا هضبته بالطلال هواضبه
اذا سيّر الهيف الصهيل وأهله من الصيف عنه أعقبته نوازبه

سأل ذو الرمة الفرزدق يوماً ما بالي لا أذكر مع الفحول قال قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن ، ووصفك للابعار والعطن . وقد أجمع ثقات الجهابذة من نقدة الشعر على انه واسع الخيال غواص على المعاني عجيب التشابه ، ولكنه سيء الاختيار اصرف مواهبه في وصف خسائس الاشياء والتافه من المواضيع فلا يجيد الا شكوى لوجد ووصف التباريح والتناغي مع الحسان فهو من هذا القبيل في البدو مثل عمر بن ابي ربيعة في الحضر ولولا ذلك لبزّ شعره شعر المجلين النابغين من أبناء جلدته في صدر الاسلام بلا مراء ولا جدال .

(ما يؤخذ على الناسخ والطابع ؟) : ان هذه النسخة التي اختيرت للطبع قد خلت من مقدمة خلافاً لسائر الدواوين والاسفار القيمة وليس للناظم فيها ترجمة حال تعرف منها هويته مع ان ذا الرمة مشهور معلوم الأحوال وهذا ما حدانا لان نجهد النفس ونوطئ لمقالتنا بترجمة موجزة تعرب عن حقيقة الناظم وتحلل طباعه وأوضاعه لعامة القراء استكمالاً للفائدة ، وفي النسخة أغلاط عروضية لم ينتبه اليها المصحح كقوله من قصيدة (ص ٢٠٠) يهجو بها امرؤ القيس وهم بطنٌ من بطون العرب .

اذا المرئيُّ شبّت له بنات عصبنَ برأسه ابةً وعارا
اذا المرئيُّ عيق ليوم فخر أهين ومدّ أبواعاً قصارا
اذا مرئية ولدت غلاماً فألأم مرضع نشغَ المحارا

ولا يخفى ما في صدر البيت الاول من الخلل . ثم حيث ذكرت الاثاني وهي الحجارة التي توضع عليها القدر على النار جاءت الاشاني او الاساني واظهر المصحح جهله لمعناها . وقد جاء الشرح مزيجاً موجزاً من الانكليزية والعربية لا يفهم منه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيء من معاني الناظم وأغراضه فهو لا ينفع العربي ولا الانكليزي النفع المراد من الشعر الا ان يقصد به تفسير بعض الغريب من الالفاظ مما تغني عنه معاجم اللغة .

اقول هذا وانا معجب كل الاعجاب بآثار هي كنوزنا تكشف عنها هم رجال الغرب التراب ثم يتحفنا بها أفاضلهم مجلوة مصونة كقلائد العقيان من مثل هذا الكتاب فلهم منا ما يجدر بهم من الشكر، ومن ربهم ما يستحقونه من الثواب والاجر .

سليم عنحوري
عضو المجمع العلمي العربي